بنزرت والحزن الآخر

« بنزرت » (*) عاد الحزن كالشلال ، والهفي عليه
أشواقه الخضيلات بالنعمى تهرّت في يديه !
والفجر كحّل بالدم المسموم رؤيا مقلتيه
وعلى حنايا ضفتيه
في مشرق الشمس الملوّث بالضياع وبالخطيئه
بصقت رياح العار ليلا موحشا في مسمعيه
حتى عطاش البوم تحتاش الجذام بساعديه

(*) بعد زيارة الشاعر الثانية لمدينة « بنزرت » التونسية الخالدة .

الحزن عاد مع النفايات الصديئه
يستل روح الفجر والرؤيا الوضيئه
ومساقط الصمت المعرش في هياكله البريئه
تحبو كظل النعش ، تحفر معصميه
أصفاد انسان ، يغص مع الحكايات الجريئه
من غير أكفان يمزقها الضحى في مفرقيه !
مرحا ، كأن العقم لم يجهض أجنّته لديه
وكأن بقيا الرق لم تبصق عليه !!

القاهرة

علي الحلي

من مسائل تحتاج الى فتاو جماعية يلتزم بها عامة المسلمين .

كان من المحتمل ان تصبح هاتان المؤسستان مؤسستين قائمتين باعضاء معروفين يجتمعون اجتماعات منظمة ودورية يمثلون ارادة الامة وحاجاتها الدنيوية في مجلس الشورى ويمثلون حاجاتها الدينية في المسائل الدينية . ولكن لان هذا الاحتمال لم يترجم في تاريخنا بقيت السلطة هدفا للمغامرين ومركز قوة يستبدون به بالامة ، وبقي الاجماع مقصورا على مناظرات العلماء وكتاباتهم دون ان ينتظموا في اجتماعات في مؤسسة ، اختلط علينا الامر وظننا ان عدم وجود مثل هذه المؤسسات كان سببه الاسلام نفسه .

هذه المؤسسات او ما شابهها تقوم على اساس المحافظة على قيم واهداف خاصة بالانسان وبعلاقاته بالمجتمع . ومفهوم الانسان في القرآن مفهوم واضح فالسؤال يكون اذن : « ما هي المؤسسات التي يجب خلقها وتطويرها لتضمن ما ينطوي عليه هذا المفهوم من قيم ولتحقيق ما يتطلبه من غايات ؟ » عندئذ نستطيع ان نرى ان تراثنا في هذا المجال لم يكن سوى احتمال واحد من بين غيره من الاحتمالات .

هذه امثلة لما ينبغي ان يكون عليه التفكير السليم في معالجة امورنا . واعتقد أن هذا المنهج سيجدد حيوية المسلمين لانهم سيكتشفون ان الاسلام ما زال وسيبقى مفتوحا لتطوير احتمالات كثيرة في امور دنياهم ودينهم . فالاسلام هو اول دين وصل فيه مفهوم الاله الى منتهى ما يمكن ان يصل اليه من العالمية : اله لكل العالمين ، ليس لشعب واحد او لامة واحدة ، ليس الها للعرب او للمسلمين فقط ، وليس الها لا نؤمن به ولا نتعبد اليه الا اذا ادخلنا غيرنا بطقوس معينة في زمرة عباده ، لا ، وانما هو الله : اله الناس جميعا واله كل شيء ، ولم يصل الى هذا المستوى بعد من العالمية اي مفهوم اخر للاله . هذا التوحيد المطلق هو الاصل الاول في المساواة وفي الاخوة وفي العدل ، أي الاصل الاول في الديمقراطية الخلقية . ولم يحتج المسلمون نتيجة هذا المفهوم الواسع الى قيم تدل على تعالي اصحابها كالتسامح وما شابهه . وهذا المفهوم للاله يترتب عليه قيم كبرى في مفهوم الانسان لنفسه وفي اتجاهاته نحو نفسه ونحو غيره من الناس ونحو المخلوقات الاخرى ، لا يمكن أن تصل الى نفس المستوى من الكمال والتكامل بغير هذا المفهوم . ولكن ليس هذا مجال بحثها .

وكذلك وصل الاسلام في مفهومه للانسان ما لم يصل اليه دين اخر او حضارة أخرى . ولا نقول هذا جزافا ، وانما نقوله ونحن على علم بما وصلت اليه الاديان والحضارات الاخرى . فالانسان مخلوق في الاسلام طاهر نفخ الله فيه من روحه وجعله خليفته على الارض وحمله أمانة التكليف وجعل فيه السمع والبصر والفؤاد والعقل . هذا الخلق يرشحه الى أسمى الغايات والى اكبر الاعمال . « فما هو نوع المجتمع الذي يكون البيئة الصالحة لحياة هذا الانسان ؟ » وما هي المؤسسات التي يجب ان توجد في هذا المجتمع لتضمن وجود هذه البيئة وتنميها ؟ « ثم ما هي الفلسفة التربوية القادرة على تربية هذا الانسان ؟ » هذه وما شابهها من اسئلة هي القضايا التي يجب ان نوجه لها تفكيرنا وعنايتنا في سبيل احياء الاسلام في انفسنا .

وكذلك وصل الاسلام الى مفهوم للطبيعة هو غاية ما يمكن ان يصل اليه الانسان . فالوجود آية ، وكل شيء فيه آية ، ان كان كبيرا او صغيرا او حقيرا . وعبارة « آية » فيها السر لنوعية الاتجاهات الفكرية التي يولدها الاسلام في اتباعه نحو كل شيء . فالقرآن يدعونا الى معرفة كل آية . بالتفكير وبالعقل ، ومن هنا كان المنهج العلمي في المعرفة انتاجا اسلاميا ، ولكنه لا يكتفي بالعلم فقط ، فالقرآن يدعو الى التذوق والى الفلسفة بعد العلم . فلا يكفي ان نعلم تركيب شيء في نظامه علميا ، بل يجب ان يولد هذا العلم التذوق الفني ايضا . وهذا العلم وهذا التذوق مجتمعان تضمهما عبارة « آية » ، ورؤية الوجود بهذه الرؤية العلمية والتذوقية معا هي اصل الدين في الاسلام واصل الايمان بالله .

هذه المفاهيم الثلاثة الكبرى : مفهوم الاله ، ومفهوم الانسان ومفهوم الطبيعة ، هي كل ما يدور حوله اي دين او حضارة ، هي الاصول الكبرى التي يتميز بها دين عن دين او حضارة عن حضارة اخرى . هذه المفاهيم الثلاثة هي أصول الاصول . ولكننا لا نستطيع ان نقدرها حق قدرها في الاسلام ما لم نرها بالمقارنة مع مفاهيم الاديان والحضارات الاخرى . ولا نستطيع ان نقدر نوعية انفتاحها للتقدم في جميع مجالاته ما لم نستفد من كل ما توصلت اليه البشرية من خبرات وتجارب واكتشافات ومن كل ما توصلت اليه من دراية في المناهج العلمية التي تدرس الانسان .

علي عيسى عثمان